٤ — اعتبار التطور فى اللغة

اللغة — أية لغة — فى حركة دائمة ، ويؤدى ذلك إلى التغير فى مختلف مظاهرها أصواتا وصيغا ومفردات وتراكيب .

والتطور فى اللغة يعود إلى طبيعتها الاجتماعية ، إذ هو سمة من سمات الظاهرات الاجتماعية المختلفة، فهى فى اندفاع مستمر لا يد لأحد على إيقافه ، ووضع القيود والمعايير فى طريقه ، كما أنه لا قدرة لأحد على مخالفته أو الخروج عن مقتضى التوافق معه .

هذا التطور المستمر فى اللغة لا يوصف بأنه اتجاه إلى الأحسن أو الأقبح أو أنه تطور إلى الارتفاع أو الانخفاض ، أو الصحة أو الفساد ، فليست اللغة العربية الفصحى مثلا فى القرن الأول الهجرى أصح منها فى القرن الثانى أو الخامس ، وبالمثل لا ينسب إلى لهجات العصر الجاهلى من التفضيل والتميز ما تحرم منه اللهجات التى تنطق الآن بين قبائل الجزيرة العربية التى تقطن الأماكن التى وجدت فيها اللهجات العربية القديمة ولا اللهجات التى تنتشر الآن فى العالم العربى على تنوعها واختلافها ، كما أن العكس أيضا غير صحيح ، بأن ننسب إلى اللغة المشتركة أو اللهجة التى وجدت فى فترة أكثر حضارة صفات الرقى والتفضيل ، لأنها تعبر عن تجارب أرقى لم تتوفر لما سبقها فى الزمن .

فاللغة أو اللهجة لا تقاس صلاحيتها بحسب التقدم أو التأخر فى الزمن ، والرقى أو التأخر فى الحضارة ، بل بحسب قدرتها على أداء دورها الاجتماعى بين من ينطقونها ، إذ تستجيب للتعبير عن تجاربهم ومظاهر حياتهم وتحقيق الاتصال والتفاهم بينهم .